العرب
السبت 2021/05/15
السنة 43 العدد 12059

لوحات تقطع مع التباعد الاجتماعي عبر حفلات وهمية

الفنان السوري غيلان الصفدي يستنهض شخوصه من ركام المآسي اليومية

جعل الفنان التشكيلي السوري غيلان الصفدي صفحته الفيسبوكية معرضا فنيا افتراضيا شبه دائم، لاسيما بعد انفجار مرفأ بيروت الصيف الماضي. وقد يكون تحويله لصفحته إلى فضاء عرض متواصل جاء، وإنْ لا شعوريا، كردة فعل، لا بل جاء كفعل حياة تُريد أن تستمر بعد أن حل الموت ودمّر ما دمّر، ومن ضمن ما دمّر صالة "آرت أون 56 ستريت" التي كانت على موعد مع عرض لأعماله الجديدة.

ميموزا العراوي
ناقدة لبنانية

كان من المُقرّر أن يقدّم الفنان التشكيلي السوري غيلان الصفدي، المقيم في لبنان، أعماله الجديدة في صالة "آرت أون 56 ستريت" البيروتية في السادس من أغسطس الماضي. وقد قام بتعليق أعماله على جدران الصالة استعدادا للافتتاح، إلاّ أن انفجار بيروت وقع خاطفا الحياة بكل معانيها.

> الأسود والأبيض في لوحات الصفدي يمثلان الكآبة، لكنها ليست كآبة الضعيف، بل كآبة المهرج الضاحك على ما يراه

وكان الفنان قد علّق أعماله الجديدة أسبوعا واحدا قبل الانفجار وقد أصابتها أضرار، ولكنها نجت من الدمار الذي لحق بالصالة وجعل مالكتها تتردّد في جدوى العودة مجدّدا إلى الساحة الفنية التي غدت ساحة حرب متعدّدة الأشكال.

حشود بشرية

هي اليوم، أي صاحبة الصالة، نهى وادي محرم، تخطط من جديد لإقامة معرض غيلان الصفدي المُقرّر خلال شهر ديسمبر المقبل. ويُذكر أن الصالة قدّمت معرضا مشتركا تحت عنوان "آرت أون 56 ستريت – العودة" خلال ديسمبر 2020 جمعت فيه عددا من الفنانين في لوحات جديدة وسابقة لهم ومنها لوحة للفنان ذاته.

لم يتوقف الصفدي عن الرسم، من يومها، وصار ينشره على صفحته الفيسبوكية كما أنه تلقّف اهتمام صاحبة الصالة وانغمس في تحضير أعماله من جديد وترميم اللوحة التي تضرّرت بفعل سقوط الزجاج. أما اللوحة المُشار إليها فهي تلك التي تتكرّر في لوحات مُتشابهة دون أن تكون مُتشابهة تماما.

وللمفارقة، تجسّد هذه اللوحة، حضورا بشريا يتخطى المئات من الأفراد الواقفين جنبا إلى جنب في مكان واحد يصعب التعرّف عليه.

ليس الصفدي أول أو آخر من رسم الحشود البشرية في لوحات مُتعددة دون كلل أو ملل. قد يتساءل البعض أمام لوحاته تلك ما هو السرّ الذي يجعل هذه اللوحات غير متشابهة على الرغم من أن الفنان استخدم فيها مجموعة ألوان مُتشابهة وغصّت بالمئات من الشخوص الواقفين بهيئات مُتشابهة، والذين ألّفت ما بينهم نظرة ليس لها قرار.

وربما تأتي الإجابة عن هذا السؤال بأن من أهم ما ميّز أعمال الصفدي، لاسيما المجموعة التي بدأ العمل عليها منذ ما يقارب الثلاث سنوات، أنه استطاع أن يوحّد هؤلاء البشر في شتات واحد جاء من التجمّع وليس من التبعثر في مختلف بقاع الأرض.

التبعثر عند الفنان والاختلاف هما بشكل خاص ظاهران في تعدّد تعبيرية ملامح شخوصه الذين يقود كل واحد منهم معركته مع ذاته أو يستسيغ الاستسلام لمشاهد عدمية تلفح هبوبا كل ما أمامه، أو يعيش لحظة يقظة احتدت فيها البصيرة لتجعل منه إنسانا/ عالما في حد ذاته لا يمت بأي صلة لمن يحيط به أو يقف إلى جانبه وإن كان كتفه ملاصقا لكتفه.

أعماله تلك التي تصوّر حشودا بشرية تُلقي في نفس الناظر إليها كآبة تذكّر بلوحات أنجزها الفنان التعبيري الألماني أوتو ديكس. والغريب هو أن على الرغم من الاختلاف الشديد بين النصين (أي نص غيلان الصفدي وأوتو ديكس) إلاّ أن ثمة جوّا من الكآبة العامرة بغبائر من زمن موجع ومضى لم يمت كليا، بل استوطن اللوحات بشكل بارز في كلا النصين.

مشهد احتفالي بأجواء مشؤومة

شخصيات تتظاهر بالوجود من العدم

رسم لجموع متلاصقة في عز الجائحة

ما يأخذنا إلى لوحات الفنان أوتو ديكس ليس الشخوص "الشريرة" ولا تعابير وجوهها ولا انهماكاتها ولا تواجدها في فضاء ضيق، بل إن ما يأخذنا إليها هي الألوان. فألوان الصفدي التي تضم الأحمر والأصفر والأبيض والأخضر والأزرق هي ألوان كامدة غير مُشرقة ومُثقلة بأنفاس هؤلاء الظاهرين في اللوحات وهؤلاء الذين لا نراهم فيها، ولكنهم حاضرون في ذهولهم وفي حيرتهم وفي ذكراهم.

ألوان متفجّرة

غابت تفاصيل الأجساد وحركاتها، التي كانت حاضرة بقوة في لوحاته السابقة، والتي كانت تخبرنا قصصا غرائبية ومُبهمة وتتحمّل الكثير من التأويل. غابت تحت ثقل لطخات الألوان التي استخدمها الفنان والتي تريد أن تُظهر دون أن تُحدّد، وتُريد أن "تُلبس"، إذا صح التعبير، كطبقات إضافية وحمل ميتافيزيقي.

كما غابت ثنائية الأسود والأبيض السوداوية عن لوحاته التي رسمها في أوج الحرب السورية، ووهبته بيروت القدرة على التعامل مع الألوان من جديد، ولكن الثنائية اللونية تلك ما برحت تسكن شخوصه وأجواء لوحاته، وإن أقل حدةً عمّا قبل.

وسبق أن قال الفنان عن تلك الأعمال "لوحاتي في تطوّر دائم، أنا الآن في الأربعينات، تتّضح معالم تجربتي أكثر فأكثر، وأميل منذ فترة إلى الأسود والأبيض لأنهما يمثلان الكآبة، لكنها ليست كآبة الضعيف، بل كآبة الشخص المهرّج الذي يرى الأشياء ويضحك على الناس بمراقبتهم".

والفنان في لوحاته الجديدة لم يُغادر متن المهرّج المأساوي الذي ما برح "يتشقلب" في نفوس شخوصه المُلتزمة بالتباعد الاجتماعي، وهي في عزّ التصاقها مع بعضها البعض.

وُلد الصفدي في السويداء عام 1977، وتخرّج من قسم التصوير في كلية الفنون الجميلة في جامعة دمشق عام 2002، اختصاص التصوير الزيتي، وهو يقيم حاليا في بيروت.

انخرط في تصميم شخصيات لمسرح خيال الظل، وأسّس معهد "القمة" في السويداء المتخصّص في تدريس المسرح والفنون للأطفال. فاز بجائزة تورينو – إيطاليا لأفضل تصميم دمى بمسرحية "خيط حرير – خيال ظل".

ورغم تطوّر أساليبه على امتداد مشواره الفني، إلاّ أنه حافظ على تقديم الشخوص، سواء كانت منفردة في بورتريهات أو ضمن مجموعات. أسلوبه واضح الخطوط وأحاديّ اللون ليُقدّم شخصيات كئيبة، أو مَشاهد "احتفالية" تأخذ منحى جديا ضمن أجواء مشؤومة. يبني الصفدي أعماله على أناس قابلهم أو شخصيات شهيرة، لتتحوّل إلى سرديات بصرية ترمز لنظرة الفنان إلى الواقع الاجتماعي والسياسي السائد في البلاد.

وقدّمت أعمال الفنان السوري في معارض فردية وجماعية في لندن وباريس وألمانيا واليابان، وفي مؤسسات دولية كثيرة منها معهد العالَم العربي في باريس ولايتهاوس غاليري في لندن، ومعرض البحرين للفنون. وأعماله مُقتناة ضمن مجموعات في سوريا ولبنان وفرنسا والمملكة المتحدة والبحرين والكويت والولايات المتحدة. وله معارض دائمة في باريس وبيروت.

معرض فرنسي يحتفي بتنويعات فن التشكيل الجزائري في الوطن والمهجر

تستضيف مدينة مرسيليا في جنوب فرنسا حتى نهاية شهر مايو الجاري معرضا جماعيا حول تاريخ الفن التشكيلي الجزائري، جاء تحت عنوان "في انتظار عمر قتلاتو"، وهو يضم 29 عملا فنيا لمجموعة من الفنانين من الجزائر والجاليات يعكس تاريخ الرسم في البلد منذ ستينات القرن الماضي وحتى الآن.

مرسيليا (فرنسا) – تحت عنوان "في انتظار عمر قتلاتو"، المستلهم من عنوان كتاب للمحامية والكاتبة الجزائرية وسيلة تمزالي، تُواصل مدينة مرسيليا (جنوب فرنسا) عرض مجموعة من اللوحات التي تلخّص تنويعات الفن الجزائري في الوطن والمهجر منذ الاستقلال.

وكان من المفترض أن يضم المعرض الذي أقيم قبلا في غاليري "والاتش آرت" في نيويورك 32 عملا يعود أقدمها إلى العام 1965. لكن جائحة كورونا والقيود الهادفة إلى احتوائها في فرنسا حرمت الجمهور من الاطلاع حضوريا على الأعمال المعروضة في مجمّع "فريش دو لا بيل دو ميه" الفني والثقافي في مرسيليا، وهي مساحة واسعة تجمع بين أماكن العمل الفنية والثقافية، وقاعات الأداء والمعارض.

وذكّرت القيّمة على المعرض ناتاشا ماري لورنس بأن "لجزء مهم من حاضر مرسيليا وتاريخها ارتباطا وثيقا بالجزائر".

لكن مركز الفن المعاصر "ترياغل استيريد" الذي يقف وراء هذا المعرض الفريد من نوعه في فرنسا وفّر بديلا من الحدث الحضوري – مفتوح فقط للمهنيين وليس للجمهور – إذ أتاح زيارة المعرض افتراضيا عبر موقعه الإلكتروني.

وتقدّم الأعمال المشاركة نظرة بانورامية حول حضور الفنون التشكيلية بالجزائر وبلدان الشتات، وهي تمثل مدارس وتيارات متنوعة كالتجريدي والواقعي، كما تعكس مواضيع مجتمعية وسياسية وتاريخية مختلفة.

ومن الفنانين الذين تُعرض أعمالهم في هذه التظاهرة، تحضر لوحات كل من قادر عطية وجمال طاطاح وفيصل بغريش ومحمد خدة وفلة تامزالي طاهاري، بالإضافة إلى محجوب بن بلة وهلال زوبير وباية محي الدين. والأخيرة تحضر في المعرض بأكثر من لوحة سريالية تعكس مدى تطوّر فن هذه الفنانة الجزائرية التي ألهمت بابلو بيكاسو. فما بين عامي 1948 و1952، عملت الفنانة الجزائرية الراحلة جنبا إلى جنب مع الفنان الإسباني الذي قال إنها كانت مصدر إلهامه في إنجاز سلسلة رسوماته الشهيرة "نساء الجزائر". وهي التي نالت لوحتها "امرأة وعصفور في القفص" شهرة واسعة.

ويقدّم قادر عطية الفنان المُدافع عن المُهاجرين بعضا من أعماله المفاهيمية التي تنتقد آثار الكولونيالية على الشعوب العربية والأفريقية، ويمكن النظر إلى الأعمال التي ينجزها الفنان كونها تتناول القضايا الفلسفية والهندسية والنفسية، فهو ينظر إلى هذه الثلاثية على أساس أنها المحور الذي تدور حوله حياة البشر، لذا تناول في أحد أعماله موضوع تقبّل فرنسا الثقافات المختلفة أكثر فأكثر، منذ أن ولى عهد الاستعمار ونالت الجزائر استقلالها.

ولكنه يسلّط الضوء أيضا على ضيق النظر الذي يميّز المجتمع الفرنسي الحالي والمؤدّي إلى التطرّف في أشكاله وألوانه المتعدّدة، وكذلك على ضرورة الحوار مع الآخر كحل مثالي للمشكلات الراهنة.

وإلى جانب لوحات محي الدين السريالية والأعمال التجهيزية لعطية تحضر لوحة للفنان الراحل محجوب بن بلة المعروف بتوظيفه للخط العربي في أعماله مع تفكيك مُمنهج للخط القديم لخلق عالم خاص به يتّخذ من التميمة وألواح الكتاتيب وقصاصات الجرائد القديمة والرمز موادا لإعادة بعث عالمه الشرقي ومزجه بالفن الغربي، كما تحضر أعمال أخرى راوحت بين الفسيفساء والجداريات لبعض الفنانين الشباب من الجيل الثاني للهجرة.

وعن مشاركتها في المعرض اعتبرت الفنانة الفرنسية –الجزائرية هاليدا بوغريط التي ولدت في مدينة لنس لوالدين جزائريين مهاجرين في العام 1980 أن "مشاهدة عمل فني بالطريقة الرقمية لا تشبه إطلاقا مشاهدته حضوريا"، وأضافت "لكن لا بأس بأن نستخدم ما بقي لنا اليوم، وهي الوسائل الافتراضية، لنكون قادرين على تمكين أكبر عدد ممكن من الناس من أن يكتشفوا على الأقل هوية كل فنان، أو عمل، أو مفهوم".

ومع أنها تردّدت لفترة من الوقت للمشاركة في معرض يتمحور حول بلد معيّن، فهي في النهاية سعيدة بأن تكون إلى جانب "أفضل الفنانين الجزائريين" ضمن مجموعة تظهر التنوّع والسعي إلى الحرية.

وشدّدت على أن "هذا المعرض لا يتناول القومية، بل على العكس، يتناول المنفى، والتحرّر، والسياسة، والعواطف الشخصية والإنسانية، إنه أمر رائع، حيث تتلاشى الحدود".

وصوّرت بوغريط في "جثة الجماهير" بالحركة البطيئة، عائلات من منطقة سان دوني في ضاحية باريس، وهي تُعانق بعضها بعضا في تعبير عن الذاكرة العاطفية قبل الانفصال. وتُظهر المشاهد التي تم التقاطها في متحف يول إلوبار للفنون والتاريخ في سان دوني، بالضوء الطبيعي، جمال الروابط الإنسانية، ولكن أيضا هشاشتها.

وأبدت الفنانة الجزائرية – الفرنسية اعتزازها بأن تُعرض أعمالها إلى جانب أعمال باية محي الدين الملونة والشبيهة بالأحلام.

أما لويزا باباري التي تعيش وتعمل بين الجزائر وباريس، فتقدّم في المعرض عملا يستحضر بطلة الاستقلال جميلة بوحيرد التي تعرضت إلى التعذيب وحُكم عليها بالإعدام "بسبب أعمال إرهابية"، ثم أفرج عنها في نهاية الاستعمار الفرنسي عام 1962. وبعد غيابها عن الأضواء إثر الاستقلال، شاركت الناشطة السابقة في مسيرات الحراك الأسبوعية، في لفتة شديدة الرمزية، ومنها أخيرا في مناسبة يوم المرأة العالمي.

> الأعمال المشاركة في المعرض الجماعي تقدّم نظرة بانورامية حول حضور الفنون التشكيلية بالجزائر وبلدان الشتات

وذكّرت باباري بأن "حضور النساء كان دائما قويا في التحركات الاحتجاجية الجزائرية". وهي في عملها التجهيزي جعلت ابنتها البالغة ست سنوات تسمع مقتطفا من كتاب بعنوان "من أجل جميلة" كتبه المحامي والناشط الفرنسي جاك فيرجيس، الذي دافع عن بوحيرد في خضم الحرب.

ويُتيح المعرض كذلك اكتشاف إبداع الفنانة الشابة سارة صدّيق المقيمة في مرسيليا، والتي تعتمد على العالم الغرافيكي لألعاب الفيديو لتروي تطلعات الشاب زين المنتمي إلى الأحياء الشعبية.

ومن خلال عمل هو عبارة عن ورق حائط فسيفسائي بعنوان "لا للغاز الصخري"، يروي الجزائري مراد قرينة نضالات الشباب من أجل البيئة.

رسم على إيقاع الطفولة (لوحة للفنانة باية محي الدين)